أشكال التعبير الأمازيغي الشفوي والكتابي
الأمثال والحكم الأمازيغية

الأمثال والحكم الأمازيغية في الأدب الشعبي الجزائري

للأمثال الأمازيغية دورها الكاشف من حيث كونها معلما تاريخيا من ثقافة الأمازيغ ،فثقافة كهذه درجة تطورها لا تتجاوز بها مرحلة الثقافة المحكية ؛التي تعكس حياة الناس اليومية كما تنقل خلاصة تجاربهم وتعبر كذلك عن نظرتهم إلى المعاني والقضايا والمشكلات البشرية. وإن كل هذه الأمثال والحكم التي سأوردها –هاهنا– هي من ذاكرة الجدة إذ لا يمكن أن تنسى روحي منذ أن وعيّت هذا العالم ،إنسانا حفر في خلدي ذكرياتٍ ومشاعرَ جميلةً،عكستها طيبة قلب ونبل أحاسيس ،ونبع حنان لا ينضب،وعفوية وتلقائية منقطعة النظير، يحملها قلب الجدّة،فجدّتي وجدّة أيّ جزائري ،كانت ولا تزال رمزا من رموز الأصالة، صندوق أسرار تفشي لنا مباهج حياة وخلاصة تجارب وحكم ،فمثّلت بذلك مرجعا ثقافيا لا غنى للأديب عنه إن أراد أن يبحر في خطاب التّراث الشعبي،فيلج بذلك عالما مليئا بالأسرار والمفاجآت.

1-الأمثال والحكم ذات القيمة الاجتماعية:

إن مجالات استعمال الأمثال الأمازيغية الشعبية متعددة، فقد تستعملها الحماة مثلا لأجل أن ترسل رسالة معينة لكنتها قصد كسر خاطرها والانتقام منها تاركة بذلك التصريح لاجئة إلى التلميح فتقول:

aman s laɛnaṣal aksum s lemfaṣal u ssɣadyent ɣir yessis n laṣṣal

الماء النقي مصدره نقي ،جودة تخير اللحم من مفاصله وبنات الأصول فقط من يسمعن الكلام ويأخذن بالأحسن منه.

وقد يؤنّب الزوج زوجته بمثل شعبي يقصد من ورائه تبيان خطئها الذي وقعت فيه حتى تتأدب فيقول:

ya ṣadda almadda a zzin n teɣulet n dadda agellan heč̌et f yizri ɣru

buḍ ɣer wadda

يامن تصدّين أوامري وتسرّبين أسراري وتنقّبين عن أسرار الغير،يامن تشبهين حمارة أبي(هذا التشبيه لتصوير انقياد زوجته لما يخبرها به قلبها وعاطفتها وابتعادها عن التعقّل) فترد عليه:

ḥuf ḥuf a bahi axenfuf a zzin n wakɛab yencuf

أنت ياجميل الأنف يامن تشبه في مكرك ثعلبا عار من شعره

وفي مواضع أخرى نجد أمثالا شعبية تقال تعبيرا عن تغير قلوب الأحباب والأصدقاء والأحباب بعضهم لبعض نظرا لتقلبات الحياة التي لا بدّ من حدوثها لأن دوام الحال من المحال فيقال:

ga llan ulawen am ulawen anemlil anemmessuden f wudem-wen; u ga wallan ulawen am iduraren taṭṭfan iḍafla-wen, anemlil at nnu3a f

imaṭṭawen

لما كانت القلوب على طبيعتها التي فطرت على المحبة ، نلتقي ونتبادل القبل، ولما تحولت القلوب وتصيّرت صلبة كالجبال(كناية عن الحقد الدفين) التي تحتفظ بالثلوج حينها نلتقي ونذرف دموعا كثيرة.

s gami uriɣ la swiɣ aman/ منذ وضعت مولودي لم أشرب ماء صافيا.

ssfan

أما عن مورد هذا المثل أو الحكاية الأولى له التي ضرب فيها ،تقول جدتي، إن ظبية كانت تريد كلما اقتربت من نبع الماء وأرادت أن تشرب منه يدخل وليدها الصغير فيه برجليه فيعكّر صفوه ويلوّثه فلا تشربه إلا عكرا.

فأصبح يضرب هذا المثل إلى غاية اليوم في كلّ حالة مشابهة ككل مايصادفنا في الحياة من مصاعب واضطرابات يصعب التكيف معها فى البداية.

Hutlayt n yiḍ d dhan ifessi garan nugray/ كلام الليل يذوب مع بزوغ أول أشعة للشمس n tfukt

Tirezzaf tigant tiddukla/ الهدايا تخلق الصداقة

Aɣrum nuḍarɣal waytwalen iḍarran-t./ خبز الأعمى من يمر عليه يقلبه.

Teqqar i tafuket: Ṭalled nniɣ ad ṭallaɣ/ تقول للشمس أطلي أو اطل.

Tariti n lxelet ur ttliqant ɣir i waṛuḍ n lexrus/ أغلبية النساء لا تلقن سوى لارتداء الآقراط

tlaxet hmessel fan, cal/ الطين يصنع الشيء المستعمل(الطجين مثلا) والتراب يصنع الوحل imessel luḍ.

awal nuwessar yečet ɣer waduf / كلام المسن عميق عمق نقي العظام

2-أمثال ذات قيمة فلسفية و سياسية:

هذا النوع من الأمثال يخص فترة تواجد الاستعمار الفرنسي، إذ كانت هذه الأمثال تستنهض في المجاهدين الأحرار الهمم وتبعث فيهم روح الشجاعة لإخراج المستعمر من أراضيهم ومن أهمها:

Tirjet tassekkar tirjin./ الجمرة الواحدة المشتعلة تشتعل بقية الجمرات

Tamzirt n baba d zizi u neč karzeɣ di lbuṛ / أرض أبي وجدي وأنا احرث في أرض قاحلة

tissergel 3armant wa yettuserglen wallic/ الأغلال كثيرة والذي يقيّد لا يوجد

ينمّ هذا المثل الأمازيغي بخطاب متشظّية دلالاته ؛ينسحب على كلّ الأزمنة والأمكنة؛إنّه يصبّ في مفاهيم فلسفية وسياسية بالدّرجة الأولى، أو بالأحرى هو خطاب في الدّيمقراطيات هل هي حقّا منهج تفرضه ضرورات التعايش السّلمي بين الأفراد والجماعات ؟أم أنّ الديمقراطية عقيدة تنافس العقائد الأُخَر وتحلّ محلّها؟أهي عقيدة كلية أم نظام فردي في عقيدة ليبيرالية تقدّس الفرد ولا تقيّد حريته الشخصية بأي قيد؟

كان هذا فيضا متن غيض وما لم يذكر أكثر مما ذكر، وحسبنا هنا أننا أحطنا ببعض ما يزخر به أدبنا الشعبي الجزائري الأمازيغي .

في الختام يمكن القول إن الأمثال والحكم الأمازيغية الشعبية كانت ولا تزال تمثل جسرا يربطنا بأجدادنا منذ القدم فتوارثناها عنهم ونحن نردد عاداتهم وتقاليدهم كما نتعلّم من تجاربهم الخالصة حكما ستكون بمثابة الدليل لعابر السبيل في حيواتنا اليومية أو على حتى أصعدة مختلفة أخرى قد تكون فكرية، فلسفية اجتماعية وحتى السياسية.